إلى المعرفة المتألقة في زمان الجهالة المظلمة

قال منزّل الكتاب في الكتاب :
(إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) المزمل : (15-16) .
فاشترط قبل أخذ الفرعون أخذاً وبيلاً تبليغ رسالة الله تعالى إليه وتفصيلها وبيانها لديه ... فإن هو أنكر بعد ذلك ، وجحد وعاند ، فقد شق إلى نهايته طريقاً ، ودفع إلى شقائه مطاياه دفعاً .
لكن السؤال المتبادر إلى القلوب وقد رأت تأخر أخذ الفرعون أخذاً وبيلا ؛ فهل حصل حقيقةً تبليغهُ ؟
وهل أدى الدعاة الرسالة مفصَّلة فتمّ بها التعريف ، فأعرض الفرعونُ بعدها عن قبول التشريف ؟

تبليغ الرسالة اليوم لا يتحقق إلا بمعرفةٍ صحيحة تنقلها اللغات الميَّسرة العديدة إلى كلِّ فرعونٍ هنا وهناك ، فيحملها الرجال الصادقون ، وتتناقلها الوسائل البالغةُ كلَّ مدىً إلى كل جبل وواد ....
أين المعرفة الصحيحة فيما تتناقله الوسائل ؟
وأين الوسائل من المعرفة المتألقة الصحيحة ؟
وأين التعبير الذي تقبله النفوس والقلوب ؟
وأين الترجمات التي تتناسب مع ذلك التعبير؟
وأين الصادقون المترفعون في تبليغ الرسالة عن الحظوظ ؟
وأين الطريق الذي يسلكه الصادقون إلى لقاء الفراعنة ؟
أين الحكمة التي رسمها ذلك الخطاب الأزلي حين خاطب الداعية المتوجه إلى القصر الفرعوني بقوله :
(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ، لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) طه (43-44).
إن مشروع الأمة الأكبر في زمن الطغيان الفرعوني ينبغي أن يكون مشروع المعرفة التي تنشر على الأرض أشعتها كما تنشر الشمس على الأرض النور ، دون أن تفرق بين بيت وبيت وبين مكان ومكان .

وإلَّا فكيف تتحقق على الأرض معالمُ :
(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) الأنبياء (107) ؟

د. محمود أبو الهدى الحسيني